إهـــداء

إليها وهي كانت برْدًا في حياة قاسية

وإليه عندما كان صاحب فضل، وعندما قسا في القرب وجفا،
وظلم في البعد استبقاءً

لمودة لم تزل تسكن الضلوع

خالد فهمي

بين يدي الطبعة الثانية

«اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون».

«اللهم صل على محمد أفضل صلاتك، عدد معلوماتك»

«اللهم صل على محمد عبد ك ونبيك ورسولك النبي الأمي عدد خلقك ورضى نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك» وبعد

فربما كان من المهم الآن أن أحكي قصة ظهور هذا الكتاب!

لقد كان في أصله مقالة علمية مكتنزة كتبتها لإحدى المجالات الثقافية والدعوية من نحو عقد ونصف تقريبًا، ثم أمرت فجر يوم بأن أحولها كتابًا كاملًا.

والحقيقة أن فحص كل ما يتعلق بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم أمر من أوجب الواجبات، ومن صميم الإيمان بالله تعالى الذي اصطفى عبد ه ونبيه محمدًا ﷺ للرسالة الخاتمة.

والإيمان العملي يقتضي تجاوز حدود الإيمان القلبي إلى تخوم الأعمال، وأرض الإنجاز، ولذلك فإن كل مختص يلزمه البيان عن هذا الإيمان من طريق اختصاصه بالطريقة التي تناسبه.

وأسماء النبي ﷺ كاشفة عن حزمة من الحقائق المهمة التي يلزم فحصها لأجلها؛ فهي أسماء لم تظهر ارتجالًا ، ولكنها حملت مجموعة من المعاني الإيمانية والتشريعية التي يلزم الإيمان بها نحوه ﷺ ، وهي مجال للبرهنة على ما قدمه حقل دراسات النحو العربي في باب دراسة العلم وأنواعه، ودلالاته من جانب، وما قدمه حقل اللسانيات في باب دراسة العلم اللغوي وارتباطه بالأفكار والبيئات وعلم الإناسة (الأنثروبولوجيا) والعادات الاجتماعية من جانب آخر.

وقد تبين لي بعد إنجاز هذه الدراسة أن كثيرًا من الموضوعات والميادين ما تزال بكرًا لم تتقدم إليها عناية اللسانيّين المعاصرين بسبب من هيمنة «التغريب» ومحاكاة الموضوعات الغربية ، ومغازلة النظريات اللسانية الغربية ولاسيما الشكلية من دون التنبه لخصوصة ما بين الألسنة المختلفة، ومن دون التنبه إلى أهمية خدمة قضايا الإيمان والخصوصية الحضارية للسان العربي وأنظمته وخصائصه ومظاهر الإنجاز به .

ثم إنه قد تبين لي أن ثمة انحرافًا ربما من دون قصد عن الروح التي حكمت منجز اللسانيّين العرب القدامى الذين داروا حول لغة الكتاب العزيز والسنة النبوية بالأساس، ثم داروا حول ما يخدم هذا الحقل من بقية الدرس اللساني التراثي بالتبعية.

وهذا الدوران الغائب ، لم يغب عن كثير من مجالات اللسانيات المعاصرة ومدارسها التي أعلنت في كثير من الأحيان أنها كانت راهبة في معبد خدمة الكتاب المقدس والإنجيل على ما يظهر من تقريرات جيفري سامبسون في كتابه الشهير: مدارس اللسانيات: التسابق والتطور!

وقد استمرت علاقتي بهذا الكتاب بعد صدوره ، وهو ما أثمر أمرين ظاهرين هما:

أولًا: تصحيح ما فرط مني في طبعته الأولى من جانب .

ثانيًا: الزيادة على مادة المعجمات الجامعة لأسماء النبي ﷺ من جانب آخر.

والحق أنني أكتب الكتاب بدافع الإيمان أولًا التي توجب البرهنة العملية على محبة النبي الأكرم ﷺ ، وبدافع الاختصاص المنتمي لهذه الأمة ثانيًا.

وإني مدين للكثيرين بالشكر وفي مقدمتهم دار البشير التي تحمست لهذه الطبعة حتى ظهرت في هذه الصورة الطيبة.

والله تعالى أسأله أن يتقبله بقبول حسن ويجعله سببًا لمحبته ورضاه.

أ.د. خالد فهمي
شوال ١٤٣٨هـ
يوليه ٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

رب أسألك العون

مقدمة الطبعة الأولى

اللَّهم أعذنا من جشع الفقير، وريبة المنافق، وتجليح المعاند، وطيشة العجول، وفترة الكسلان، وحيلة المستبد، وتهور الغافل، وحيرة المُحْرَج، وحسرة المُحْوَج، وفلتة الذهول، وحرقة النكول، ورِقبة الخائف، وطُمأنينة المغرور، وغفلة الغرور، واكفنا مئونة أخٍ يرصد مسكونًا إليه، ويمكر موثوقًا به، ويخيس معتَمَدًا عليه، وصل الكفاية بالسلوة عن هذه الدنيا، واجعل التهافَنا عليها حنينًا إلى دار السلام، ومحلِّ القرار، وغلِّ إيماننا بالغيب على يقيننا بالعيان، واحرسنا من أنفسنا، وأَربنا من قدرتك ما يحفظ علينا هيبتك، وأسبغ علينا من نعمتك ما يكون لنا عونًا على طاعتك، واجعل ديدننا ذكرك، وعادتنا الشوق إليك، واجعل غايتنا الاتصال بك، واحجبنا عن قول يبرأ من رضاك، وعمل يعمي عن هداك، وألِّف بيننا وبين الحق، واعصمنا من بوائق الخلق، وانقلنا من مضايق الرزق، واهدنا إلى فوائد العتق. فإنك ولي ذلك والقادر عليه. آمين[1].

(١) من دعاء أبي حيان التوحيدي في البصائر والذخائر ٥/ ٥ ـ ٦

وبعـد فلم ينـل أحـدٌ فى التاريخ من العناية مثل ما حدث مع النبي ﷺ الخاتم، وكل ذلك ـ مع وفرته وكثرته ـ يقف أمام العناية التي أولاها له القرآن الكريم ضئيلًا، قصير القامة!

والعمدة في تعامل الذكر الحكيم مع شخص الرسول الكريم ﷺ تنطلق من الإقرار البيّن الذي ورد في قول الله عز وجل ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [سورة الفتح: ٤٨/ ٢٩] فنحن نرى في هذه الآية الكريمة ـ مع ما فيها من إظهار للتعظيم بذكره، ثم بإضافة خبره إلى الله، ولا عظيم سواه سبحانه، ومن التبرك باسمه، والاستلذاذ بنطقه. أنها محور النظر إلى النبي ﷺ، فأعلى ما يتحدث به القرآن الكريم عنه أنه رسول الله ﷺ ، ومصطفاه، وفي ذلك من المنزلة الرفيعة ما لا يرقى إليه شيء بعدُ من المنازل التي يكرم من أجلها الناس.

ومما يدلك على أن النظر إليه من زاوية كونه رسولًا من قبل الله سبحانه هو محور التعامل معه ـ آية سورة آل عمران ٣/ ١١٤ التي تقول ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ٱللَّهِ﴾ وهذا التعبير بما فيه من قصر وحصر، يفيد تخصيص شيء بشيء، وقد وقع القصر هنا بين المبتدأ والخبر، وهو قصر حقيقي لا شبهة فيه للادعاء أو المبالغة!

وهذا الاعتبار في النظر إلى محمد ﷺ على أنه رسول الله الخاتم يمكّننا من قراءة سمات الرسالة ومقاصد الشرع من خلال تعانقهما في الصورة التي

رسمها القرآن الكريم له ﷺ، وأراد الله سبحانه أن تستقر في وجدان المتلقين المكلفين باتباعه ممن عاصروه، أو خلفوه في الزمان.

أولًا: براءة نفسه براءة كلية ﷺ:

وهذه سمة طبيعية يقود إليها منطق الأشياء؛ إذ هو ﷺ المبلِّغ عن ربه، ومن ثم تكفل الذكر الحكيم ببيان براءة ساحته صلى الله عليه وسلم بالنص صراحةً على كونه موصول النسب بالسماء فيما يأتيه أو يدعه، أو يثبته أو ينفيه يقول رب العزة سبحانه: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾[سورة النجم ٥٣/ ١ -٥].

وهذا الوصف ثابت له ﷺ من أول زمان النبوة، والسورة مكية كما هو معلومٌ، يدل على ذلك ما نقل من أنها أول سورة أعلنها رسول الله ﷺ بمكة المكرمة فيما نُقل عن قتادة [انظر: تفسير الماوردي ٤/ ١٢٩]. وهذا نص صريح في نفي أي لغوٍ عن ساحته ﷺ، يعانقه مبدأ عام مستقر وهو أن كل نبي إنما هو اصطفاء الله.

ثانيًا: هو رحمة الله للعالمين:

وقد صرح القرآن الكريم بأن الله إنما بعث محمدًا ﷺ بجناحين هما النِّذارة والبشارة؛ وهما طريقا تحقيق مقصد الله سبحانه من إرساله ﷺ وهو رحمة

الخلق! وهذا المقصد ليس استنباطًا قاد إليه مجموع الأدلة وإنما هو بتصريح النص الحكيم بذلك يقول رب العزة سبحانه ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء ٢١/ ١٠٧] والمفسرون يرون في قسم من الآراء أن الله رحم به الخلق جميعًا مؤمنين وكافرين من عذاب الاستئصال!

ثالثًا: كمال فضائله ثابت له بحكم اصطفائه ﷺ وبحكم وظيفته في الحياة:

فلا توجد شخصية قرآنية احتُفي بها مثلما احتفي برسول الله ﷺ في جمع صفات الكمال له من جانب، والحدَب والإشفاق عليه استبقاءً لأداء مهمته في الحياة من جانب آخر.

فالقارئ للقرآن يلحظ بلا تعب أو جهد ذلك الوصف الجامع لكمال خلقه ﷺ في قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [سورة القلم ٦٨/ ٤] وحمل هذا المدح على الطبع الكريم هو الظاهر إذ "حقيقة الخلق هو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب"، معنى ذلك أن النبي ﷺ كان يأخذ نفسه، ويحملها على كل عظيم من الآداب رعاية لمطلب النبوة من جانب، وعناية بالأمة والخلق من جانبٍ آخر.

وهذا الإخبار عنه ﷺ بهذه التركيبة النحوية فيما ورد من تنكير خلق ونعتها الدال على اللزوم والثبات ـ يدل على اشتماله على كمال الفضائل على

جهة الشمول والاستغراق في حق نفسه ﷺ، وقد توزعت صفات التزكية على جهة التفصيل في مواضع عديدةٍ من الذكر الحكيم وقد ظهر أثر من آثار هذه التزكية في ملمح من رحمة الله تعالى به يعكس حب الله تعالى له، حيث أظهر سبحانه الإشفاق عليه، والرحمة به في أكثر من نص في الذكر الحكيم يقول ربنا جل وعلا ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [سورة فاطر ٣٥/ ٨] ويقول سبحانه ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ [سورة الكهف ١٨/ ٦] وقوله تعالى ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء ٢٦/ ٣] والبخع في اللغة متدرج من الإحراج والمشقة إلى القتل والهلكة، وواضح أن الله يريد لنبيه ألا يرهق نفسه مبتدئًا بنهيه عن الحرج ومنتهيًا بالإشفاق عليه من هلكة نفسه.

رابعًا: عتاب الله سبحانه له ليس دليل تنقّص لذاته ﷺ، وإنما هو توجيه لأداء المهمة المكلّف بها وتعليم لمن يخلفه في محل الدعوة:

في سورة عبس (٨٠) عتب حانٍ، وملاطفة رقيقةٌ من الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ ودليل تعظيم الله سبحانه لنبيه مع العتب والملاطفة قول العلماء: «إن الله عاتبه معظمًا له ﷺ بسياق الغيبة»، كما قال البقاعي في [نظم الدرر ٢١/ ٢٥٠] وقد جاءت آيات العتاب ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ بحديث الغائب

إجلالًا له، فلما تحقق ما أراده الله سبحانه وتعالى، تحول للخطاب؛ لأن طول الإعراض يُفهم الإقباض.

خامسًا: وصف مباشرته لشئون الحياة غير منفصل عن قضية اصطفائه ﷺ.

فقد نثر القرآن الكريم عددًا من الأوصاف عنه ﷺ من مثل كونه ما كان أبًا لأحد من رجال قريش أو غيرهم، ومن مثل رعاية التشريع لما يؤذيه حيًا وميتًا فيحرمه من مثل تحريم مخالطته الخلطة التي تجر على نفسه حرجًا وإيذاءً من مثل طلب متاع من أمتعته من دون رعاية لمقام النبوة، ومن مثل تحريم الزواج بأزواجه؛ لأنهن أمهات المؤمنين، وإكرامًا لمنزلته ﷺ، وعدم التقديم بين يديه، أو رفع الصوت بحضرته إجلالًا لشأنه وارتقاءً بعلو مكانه في النفوس المؤمنة، وذلك رعاية لكونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﷺ تسليمًا كثيرًا.

ولعل واحدًا من آثار هذه العناية القرآنية بالنبي ﷺ يظهر في كثرة التآليف في أسمائه، لأنها مجلى هذه الصفات جميعًا حملتها ودونتها في بنية العلم النبوي نفسه.

وقد استطاع مؤلفو هذه التآليف استخراج أسمائه وصفاته التي نثرها القرآن الكريم ووردت في السنة وغيرهما حول شخصه ﷺ مستخدمين في

ذلك عددًا من الإجراءات التي وصلوا بها في الأزمنة المتأخرة إلى مئات من الأسماء.

وقد ظهر واحدة من آثار هذه العناية القرآنية في كثرة التآليف حول جوانب سيرته كافة، وحول التأليف في تفسير أسمائه وبيان معاني هذه الأسماء خاصة.

وهذه الدراسة ستخص هذا الجانب الأخير بالدرس والتحليل، وسوف تتوزع على بابين كما يلي:

الباب الأول وهو: في التأليف في أسماء النبي ﷺ عند العرب وسيعالج البحث فيه ما يلي:

الفصل الأول: مؤلفات أسماء النبي ﷺ دراسة توثيقية.

الفصل الثاني: مناهج التأليف في الأسماء النبوية في العربية دراسة في المنهج والمصادر.

ثم يأتي الباب الثاني خالصًا للدراسة اللغوية (اللسانية) وقد تقصر على فصلين:

الأول: دراسة في البنية.

والثاني: دراسة دلالية.

والدراسة تنظر إلى الأسماء نظرة متسعة تشمل الأسماء والألقاب والكنى والصفات، ثم هي ترى أن المعالجة اللغوية ستأخذ شكلين:

أحدهما: وهو ما سيظهر في الباب الأول ـ للدراسة اللغوية (الفيلولوجوية) التاريخية التي تعنى بدراسة النصوص أو الكتب ومناهجها واستمداد بعضها من بعض، إذ إن الفيلولوجيا Philology تعني الدراسة العلمية لـ«النصوص القديمة وتحقيقها والتعليق عليها ودراسة كل ما يتصل بها» [1].

وآخرهما: دراسة لغوية موضوعية Lingguistics (لسانية) لذاتها للكشف عن خصائص الظاهرة المدروسة، وقد حددت الدراسة مستويين ستتحرك بينهما وهما: الجانب الصرفي المتعلق بالبنية، والجانب الدلالي، وسيقف البحث في هذا الجانب الأول عند دراسة الأسماء النبوية في ضوء منجزات علم الصرف والمشتقات، وأنواع العلم.

وفي الجانب الدلالي عند معاني الأبنية ثم عند العلاقات الدلالية التي حكمت هذه الأسماء الشريفة.

وقد كان الداعي إلى هذا الكتاب مجموع أمرين أولهما الاحتفاء بمولد خير البشر ﷺ من جانب، وخلو المكتبة العربية من جانب آخر من كتاب يدرس

---

(١) معجم اللسانيات الحديثة (Philology) ١٠١، وانظر: معجم المصطلحات اللغوية للبعلبكي ٣٧١ و Dictionary of Linguistics and Phonetics, by David Crystal, P257.

الأسماء النبوية الشريفة على الرغم من أن عددًا من الباحثين الكرام من طبقة أساتذتنا كانوا قد عالجوا أنوعًا من الأعلام الإنسانية ودرسوها دراسة لغوية إلا أن أحدًا منهم فيما نعلم لم يدرس العلم النبوي الشريف ومما يؤكد ذلك الإسهامات التالية:

- كتاب الدكتور إبراهيم السامرائي رحمه الله: «الأعلام العربية دراسة لغوية اجتماعية».
- كتاب الدكتور أحمد مختار عمر رحمه الله: «أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة.
- كتاب الدكتورة سامية الساعاتي «أسماء المصريين الأصول والدلالات».
- كتاب الدكتور عاطف مدكور رحمه الله «أعلام الجاهلين دراسة دلالية».
- كتاب الدكتور عمر صابر عبد الجليل «الأسماء الأعلام السامية دراسة لغوية مقارنة في البنية والدلالة».
- كتاب الأستاذ كوركيس عواد «أشتات لغوية».

وتبقى دراسة أسماء الأعلام بعد ذلك تمثل أهمية غير خافية، ولا سيما في الدراسات المتعلقة بمقارنات الكتب المقدسة، حيث أثبتت ـ مثلًا ـ دراسة العلم ـ مصرية اسم (موسى) على ما يقرره بوكاي (٢٥٧) عندما يقول:

«أثبت مونتي مصرية اسم موسى وقد ورد في معجم أسماء الأشخاص في اللغة الهيروغليفية لرانك، وموسى بعدَ نقل لهذا الاسم في القرآن الكريم».

وبعد، فإن أكُ وفقت فذلك هو المأمول إن شاء الله تعالى، وعسى أن يكون ذلك إن كان سببًا في رضى الله سبحانه وبلوغ شفاعة نبيه ﷺ.

وإن كانت الأخرى فحسبي أني اجتهدت والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

القاهرة في ٢١ رمضان ١٤٢٦هـ

٢٤ أكتوبر ٢٠٠٥

أ.د. خالد فهمي